تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

— صوء عقيبة البريد :

هذه رسالة متواضعة ، أطمع أن تنشرها كاملة ، ولعل صدرك الرحب لايضيق بها ولايتولى عنها ، فربما كانت لمثلك فقيرة الوعاء مصدوعة البناء خاملة العبارة مبهورة الأنفاس . . ولكن ماذنبي والأدب كالدين سمح كريم يغفر ويعفو ، والكرام الكاتبون فى تواضعهم وعظيم أخلاقهم وكياستهم كالأنبياء والأولياء والمصلحين يحتفون ويقربون ، أو لم ينبه الله تعالى رسوله الكريم إلى أنه : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ليقول له : « ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » ؟ ... هذا هو سر ما شجعنى على الكتابة لك ، وما يدريك ياسيدى لعلى أزكى ، أو أخرج على يديك وبفضل توجيهك وتشجيعك لى ، أديباً أو شاعراً أو ناقداً ألم تتفتح بالامس زهرة (الشاعرة ناهد) بفضل هذا التشجيع والإدناء ؟. ولكن للأسف قد اقتطفتها يد المنون على حين غفلة ولما تزل تنضح بالمطر ، وتلك وردة أخرى (هجران) نفحتنا بأول نفحة من أريج أوراقها وبفضل رعايتك أيضاً ... وهل أكون مخطئاً إذا اعتبرت هذا وسميته تخريجاً على يديك وتوجيهاً منك ، مادام الأمر مرتهناً بكلمة تزجيها إلى الشاعر المبتدىء أو الأديب الناشىء فيهتز لها جنانه وتنبعث الثقة فى نفسه ، فتشرق شمسه من بعد ظلمة يأسه ، ويعمل على ملء تلك الثقة دؤوبا مجتهداً مواصلا ليله بنهاره حتى لا يهان عند الامتحان ؟ فكأن إشارتك له بمثابة نداء منك أن يهب من رقدته ليمضى فى الطريق غير هياب ولا مختشع ، إلى أن يصبح رهن أمرين كقول الحمذانى فى مقدمة كتابه الألفاظ : « إما التعلق بالسماك مضاء ونفاذا إن ثابر حتى نهاية الطريق ، وإما الانتكاس فى الحضيض تخلفا ونقصاً إن قعد به العجز عند أول أشواطه » ! ... وهل ننسى يا سيدى مذهب « الأداء النفسى » ودراساته الفنية العميقة ، المحدثة المبدعة ؟.. كلا والذى علمك البيان . على أية حال نخرج من هذا الكلام مراعاة لوقتك الثمين إلى سؤال أطمع فى الإجابة عنه إجابة تبرد الحرقة وتشفى الغليل ، وهو : ما الذى قعد بك عن متابعة نشر فصول كتابك عن شاعر الأداء النفسى على محمود طه فى الرسالة حتى يتم الكتاب ؟ أتراك استجبت لرأى أحد أصدقائك على حد قولك ؟ وهل صحيح أن نشرك الكتاب كله فى الرسالة الغراء يفقده كثيراً من بهجته وجدته حين تخرجه للناس كتابا كاملا بين دفتين ؟ وهل كان يفعل مثلك الزيات فى كتبه التى كان ينشرها فصولا متتابعة فى الرسالة ككتابه « دفاع عن البلاغة » وغيره ؟

وأختتم هذه الرسالة منتهزاً تلك الفرصة الطيبة لأبعث إلى شباة القلم الفذ ، بتحية التقدير والإعجاب والحب .

« السويس » عبد الرحيم

هذا أديب آخر لم يشأ أن يذكر اسمه ، وآثر — كما فعل أخ له من قبل — أن يختفي وراء قناع .. وما قلته لأديب الأمس أحب أن أقوله لأديب اليوم ، وهو أننى أفضل أن ألقى الأصدقاء الأدباء فى وضح النهار .. أما أديب الأمس الذى نشرت كلمته فى العدد (٩٠٣) من الرسالة فقد ظهر على حقيقته فى العدد الذى يليه ، وأعنى به العدد الذى ظهر منذ سبعة أيام . لقد ظهر هذا الصديق فى صفحة الشعر وعرفته هذه الصفحة قبل ذلك مرات ... أليس القارىء (ع . ع . ص) الذى كتب إلى من « طهطا » مدافعاً عن القراء ، هو الأستاذ عبد الرحيم عثمان صاروخ الذى طالعنا بقصيدته « زائرة الحى » فى العدد الماضى من الرسالة ؟ لقد أدهشنى هذا الشاعر الصديق بروعة وفائه ، ثم عاد مرة أخرى فأدهشنى برقة شعره ، ومن حقه على أن أذكر له هذه القيم الجمالية التى يشرف بها الخلق والفن .. ولا بأس من أن آخذ عليه قوله :

فى حضنها دميـة ، حتها عن الأذى ، راحة تنار
قد لفها بخنـــق جديد لم يبق منه إلا الصدار
مغمضـة العين فى حماها طاب لها قربها الجوار
دميتها ! قد مضى بها من له على الأنفس الخيار

فرجعى لى ، والأم تصغى
كيف انقضى ذلك النهار !

ابراهيم العريض

وزهرتاى الآدمية !

بعد هذا أقول لأديب اليوم بعد شكره على كريم تقديره إننا هنا لانضن على المواهب بالذكر ولا نبخل على أصحابها بالتشجيع ، لأننا نؤمن كل الإيمان بأن كلمة تقال أو صدراً يرحب أو يداً تمد ، يمكن أن تخرج الكنوز من باطن الأرض وتفجر الينابيع من أعماق الصخر ، وتحيل صحارى الفكر إلى جنان وريفة الظلال ميادة الغصون .. وليس فى هذا الصنيع إن نحن أقدمنا عليه شىء من الفضل ، ولكنه الواجب الذى تفرضه علينا كرامة العقل ورسالة الذوق وديمقراطية الأدب ! إننا ننكر هذه الارستقراطية الأدبية التى تعترض طريق المواهب حين لايسطع من ورائها شعاع اسم كبير ، لأننا ندين بهذه الكلمة الصادقة التى تقول لك : لا تنظر إلى من قال ، ولكن انظر إلى ما قال . إننا لا نلتفت إلى ضخامة الاسم بقدر ما نلتفت إلى ضخامة العقل ، ولا نعترف بسعة الشهرة بقدر ما نعترف بسعة الأفق ، ولا نهتم بعلو المكانة بقدر ماتهتم بعلو الثقافة ، ولا نحفل باكتمال الصيت بقدر ما نحفل باكتمال الأداة .. هذا هو مذهبنا الذى نؤمن به ودستورنا الذى نسير عليه ، وعلى أصحاب المواهب أن يطمئنوا إلى أننا أمناء على الحق حرصاء على القيم .. ولن نحيد يوما عن الطريق .

أقول هذا وأعلم أن هناك كتابا وشعراء سيواجهوننى بصيحة من العجب وأخرى من الإنكار ، لأنهم بعثوا إلى بفيض من النثر والشعر غضضت عنه الطرف وصرفت الفكر وأمسكت القلم .. إلى هؤلاء أعتذر ، لأن إنتاجهم الأدبى يعوزه شىء من الصقل وشىء من النضج وأشياء من التجربة والمران . وليس عليهم من بأس إذا ما عمدوا إلى فنون من الجد والمثابرة واحتمال متاعب الطريق ليبلغوا من هذا الطريق منتهاه ! كل ما أرجوه ألا يتسرب إلى قلوبهم اليأس ، وألا يتطرق إلى نفوسهم القنوط ، وألا يثلقوا فى مجال الطموح تلك الكوى الخفية التى تهب منها رياح الأمل .. الأمل الواثق من القدرة القادرة على الوصول فى الغد القريب .

أترك هذا الجانب من الإجابة على الشق الأول من رسالة الأديب الفاضل لأعرج بالتعقيب على الشق الأخير .. وخلاصة هذا التعقيب أن ذلك الكتاب الذى يشير إليه سيكون يوما بين أيدى القراء .. ولن يضير قضية النقد وعشاق الأدب أن أرجىء نشر الفصول الباقية إلى حين ، إلى أن تقع عليها أعين الناس كاملة بين دفتين . وليس هناك من سبب لهذا الإرجاء غير ماذكرت ، وهو أن نشر الكتاب كله على صفحات الرسالة سيغنى القراء عن اقتنائه ويعفيهم من مشقة السعى إليه حيث ينقلونه من ضيافة الرفوف إلى ضيافة العقول !

أما الأستاذ الزيات فقد فعل مثل ما فعلت فى هذا الكتاب الذى أومأ إليه الأديب الفاضل وأعنى به « دفاع عن البلاغة » .. وليس من شك فى أن وجهتى النظر تلتقيان حول حقيقة واحدة وهى أن نشر الكتب كاملة على صفحات المجلات يفقدها عنصر الجدة التى تنشدها عين المتشوق إلى كل جديد . وجوهر الطرافة التى يلتمسها ذوق المتطلع إلى كل طريف .. ولا حاجة بنا إلى الإفاضة فى ذكر مايلقاه الكتاب من قراء هذا الزمان !!

شعراء فى الميزان :

فى العدد الماضى من الرسالة كلمة للأديب السورى الفاضل محمد الأوناؤوط ، يختلف فيها معى حول رأى فى شعر الشاعرين : عزيز أباظة وأنور العطار . وجوهر الخلاف أننى وضعت الشاعرين فى طبقة واحدة فلم يقتنع الأديب الفاضل ، ومضى يرفع من شعر الأول ويخفض من شعر الأخير ، أو يدخل شعر أباظة فى دائرة « الأداء النفسى » ليخرج منها شعر العطار ! ومما جاء بكلمته فى هذا الصدد قوله: « إن شعر العطار فيما أرى ليس فى طبقة شعر عزيز أباظة ، ولايمكن أن يبلغ مستواه. إنه شعر صناعة وألفاظ، شعر عبارات مات فيها الجرس ، وصور انطفأت فيها الألوان وخمد البريق ، ومعان أكرهت على الكون بعضها إلى بعض فلم تكد تأتلف ، ولم يكد يأنس شىء منها بشىء .. إنه عمل ذهنى وجهد لغوى ، لا يمت إلى شعر « الأداء النفسى » بصلة ، ولا كذلك شعر عزيز أباظة » !

من هذه الكلمات يتبين للقراء أن الأديب السورى يريد أن يجرد شعر العطار من كل ما يسلكه فى عداد الشعر ... إلى هنا وأقف قليلا لأقول له : إننى لا أحب لمكتبه الناقدة أن تنزلق إلى طريق التجنى وأن تندفع إلى سبيل الغلو ، لأن كليهما يطمس الحقائق الفنية ويوحى إلى الأذهان بأن الأهواء وحدها هى التى تقود الرأى وتوجه الاتهام !

اننى حين قلت إن هناك لونين من الشعر يعجبنى أحدهما

ويهزني الآخر ، لم أشأ أن أخرج اللون الأول ـ ومنه شعر العطار من دائرة « الأداء النفسي » لأن ومضات هذا الأداء منبثة في شعر هذا الشاعر بمقدار. ومعنى هذا أن وجودها بنسبة معينة أمر لاشك فيه . وعلى مدار هذه النسبة الفنية لتلك الومضات ، أعني على مدار ما فيها من القوة والضعف أو من الزيادة والنقص في شعر العطار وكل شعر ، يتحدد المعنى الذي قصدت اليه حين قلت إن هناك شاعرا يعجبني بأدائه وآخر يهزني بهذا الأداء !

وإذا كنت قد قلت إن شعر العطار من ذلك اللون الذي يعجب ولا يطرب ، فأرجو أن يفهم القراء أنني أتحدث عن هذا الشاعر منسوبا إلى كل شعره وليس إلى بعض القصائد أو بعض الأبيات ، أعني أن الحكم الذي أصدرته كان حكما منصبا على الشاعر في مجموعه ، وهكذا يجب أن تكون كل الأحكام .. إن قصيدة « الشاعر » للعطار مثلا لا تهزني ، وكذلك لا يهزني الكثير من شعره ، ومع ذلك فإن إنتاجه الفني لا يخلو من الفلتات الشعرية المحلقة في بعض الأحيان . ولكن العبرة كما قلت هو أن ننظر إلى الشاعر في جملته ، أعني أن نربط هذه النظرة بملكته الشعرية العامة لا الخاصة ، وأن نركزها على طاقته الفنية التي تحددها الكليات لا الجزئيات ؟

هذا الميزان الذي أقيمه هنا بالنسبة إلى شعر العطار ، هو نفس الميزان الذي أقمته بالنسبة إلى شعر عزيز أباظة ، وهو بعينه الذي دعاني إلى شيء من التحفظ وأنا أقصر الحكم على شاعرية يوسف حداد ، في نطاق هذه القصيدة الوحيدة التي لم أقرأ له غيرها من قبل .. وليس هناك شيء من التراجع أو شيء من الفتور نحو إعجابي الذي لا يحد بقصيدة الشاعر اللبناني كما خيل إلى الأديب الفاضل ، ولكنه الحرص البالغ على أن تكون الأحكام النقدية العامة على شاعرية الشعراء مرتكزة على الانتاج العام !

ولا يمكن بحال أن أوافق الأديب السوري على مجموعة آرائه في شعر العطار ، لأن من هذه الآراء مالا يتفق مع الواقع كقوله إنه شعر صناعة وألفاظ ، أو شعر عبارات مات فيها الجرس ، وصور انطفأت فيها الألوان وخمد البريق .. لا يا صديقي ! إن أنور العطار من أحلى الشعراء جرسا ومن أكثرهم لمعان صور وإشعاع بريق ، ولا أستطيع أبدا أن أضمه إلى قائمة الشعراء المصنوعين .. إنه في رأيي ورأي الحق شاعر مطبوع ، كل ما ينقصه هو أن يتخلص من هذه القوالب الكلاسيكية التي يصب فيها شعره في كثير من الأحيان ، وأن يعنى بعض العناية بصدق الرؤية الشعرية في ألفاظه ومعانيه ، وأن يهتم بملكة المراقبة النفسية أكثر من اهتمامه بملكة المراقبة الحسية .. وما أقوله هنا عنه يمكن أن أقوله عن عزيز أباظة !

لحظات في دار الكتب :

لحظات لم أقضها في القراءة والاطلاع ، وإنما قضيتها في زيارة رسمية للأستاذ أحمد راي .. ولعل القراء يذكرون موقفي من الأستاذ الفاضل في عدد مضى من الرسالة ، ويعجبون كيف تم هذا اللقاء بيني وبينه بعد ذلك الذي كان !

الحق أنها كانت لحظات حافلة بالعجب عامرة بالطرافة ... ومصدر العجب فيها هو أن نلتقي وجها لوجه ، ويكرم الرجل وفادتي ويهش لمقدمي على الرغم من تلك الحملة القاسية التي شنتها عليه منذ أسابيع . ومرد الطرافة فيها إلى أن راي لم يكن يعرف شيئا عن ذلك الزائر الغريب ، سوى أنه مندوب رسمي للدكتور طه حسين بك وزير المعارف ... ومن هنا أصر على ألا أبرح مكتبه حتى أتناول فنجانا من القهوة ، تحية وترحيبا ومودة !

إنني أكتب هذه الكلمة لأقدم عن طريقها أخلص الشكر للأستاذ أحمد راي وكيل دار الكتب المصرية ، على كريم ضيافته وجميل حفاوته .. وأشهد أنه كان نفحة من نفحات الذوق حين أمر بإنجاز ما جئت من أجله في يومين وكان مقدرا له أن ينجز في أيام .. أشكره هنا على صفحات الرسالة لأنه لم يكن في طوق أن أشكره في دار الكتب .. أقصد أنه لم يكن في استطاعتي أن أقدم إليه شكر صاحب « التعقيبات » ، وإنما الذي أمكنني أن أقدمه إليه في ذلك اللقاء .. هو شكر مندوب وزير المعارف !

ترى ما الذي سيقوله الأستاذ أحمد راي لنفسه بعد أن يطلع على هذه الكلمة ؟ ليس من شك في أنها ستكون مفاجأة له ، ومفاجأة طريفة .. أتراه سيحس شيئا من الأسف على كريم ضيافته وجميل حفاوته ، وذلك الفنجان من القهوة الذي قدمه إلي ولن أنساه ؟ الجواب في بطن الشاعر !!

مرجوعه الذاكرة :

طالع القراء في العدد الماضي من هذه المجلة حديثا موجها من كاتب هذه السطور إلى معالي وزير المعارف في العراق